"رأس الأفعى" محاولة فاشلة لغسل يد السيسي من انهيار مصر وتحميله للاخوان

الاثنين 23 فبراير 2026 06:00 م

منذ 2013، تحوّل موسم دراما رمضان إلى منصة شبه ثابتة لإعادة إنتاج رواية سياسية واحدة: شيطنة جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها المصدر الحصري لكل اضطراب أو أزمة، في مقابل تقديم الأجهزة الأمنية كـ"البطل المنقذ" الذي يحمي الدولة من الانهيار، مع استخدام أدوات الإنتاج الضخمة وقنوات احتكرتها فعليًا أجهزة سيادية بعد إعادة هيكلة السوق الإعلامية لصالح "الشركة المتحدة" ومن يقف وراءها.

دراما بأمر الأجهزة.. من "الاختيار" إلى "رأس الأفعى" وتثبيت شماعة واحدة لكل أزمة

مسلسل "رأس الأفعى" يأتي امتدادًا لخط طويل من الأعمال التي وثّقها تقرير لموقع EgyptWatch حول "الاختيار 3" وغيره، باعتبارها "دعاية دولة" صريحة، تُنتج بتعاون مباشر مع الشؤون المعنوية والمخابرات العامة، بهدف تمجيد الجيش والشرطة وتجريم الخصوم السياسيين، وعلى رأسهم الإخوان، عبر انتقاء وقائع وتجاهل أخرى، وعرض "تسريبات" ومشاهد لقاءات أحادية الصوت، طرفها الآخر إما في السجن أو ميت، بلا حق للرد أو الدفاع.

في "رأس الأفعى"، تُقدَّم شخصية د. محمود عزت كنموذج للزعيم "الإرهابي الخفي" الذي يمتلك لجنة منظمة لافتعال الأزمات، من تخزين الدولار وخلق شح مصطنع، إلى تعطيل الطرق وتخريب المرافق العامة، مع تحميله – ومن ورائه الجماعة – مسؤولية كل ما شهدته مصر من اضطراب اقتصادي وأمني منذ ثورة يناير وحتى اليوم، في تكرار لما وصفته مجلة "الإيكونوميست" عام 2019 بأنه "استخدام الإخوان ككبش فداء مفضل" لتحميلهم مسؤولية كوارث مزمنة، مثل حوادث السكك الحديدية المتكررة، التي تعود في الواقع إلى عقود من الإهمال وسوء الإدارة.

تقرير EgyptWatch نقل عن الخبير الإعلامي علي عبدالعليم وصفه لهذه النوعية من الأعمال بأنها "دعاية خالصة" تذكّر بممارسات أنظمة شمولية، منتقدًا استخدام الدراما لمعالجة صراع سياسي داخلي جارٍ، لأن ذلك ينتهي عمليًا إلى انتهاك حقوق المعارضة عبر التشهير، خاصة أن الشخصيات المستهدفة – مثل قادة الإخوان – إما قيد الحبس الاحتياطي أو أحكام قضائية مثيرة للجدل، محرومون من حق الرد، بينما تُستخدم شاشات رمضان لتثبيت صورة واحدة في وعي ملايين المشاهدين.

سردية "لجنة افتعال الأزمات" تصطدم باقتصاد منهار بقرارات رسمية لا بخلايا سرية

السردية التي يتبناها "رأس الأفعى" حول لجنة سرية لإغراق البلاد في الفوضى تتجاهل معطيات أساسية وثقتها مؤسسات مالية دولية؛ فالأزمات الاقتصادية الكبرى التي عصفت بالبلاد خلال السنوات الماضية مرتبطة بسياسات معلنة: ديون خارجية تجاوزت 160 مليار دولار، توسع في مشروعات رأسمالية مثيرة للجدل مثل العاصمة الإدارية ومدينة العلمين، تضخم قياسي، تعويمات متكررة للجنيه أفقرت الطبقة الوسطى، واعتماد على الأموال الساخنة وصفقات بيع أصول لسد فجوات التمويل.

تقرير صـندوق النقد الدولي لعام 2025 يربط بين هـذه السـياسات وبين اتساع عجز الحساب الجاري وارتفاع أعباء خدمـة الـدين، محذرًا من حساسـية الوضع لأي صدمـة خارجيـة، دون أي إشارة – بطبيعة الحال – إلى دور "خلايا إخوانية" أو "لجان عملات"؛ فالقرارات التي قادت إلى هذه النتائج صدرت عن السـلطة التنفيذية ومؤسـساتها الاقتصادية، ومرّت عبر برلمان موالٍ، وأُعلنت على الملأ، ما يجعل محاولة نسـبتها في الدراما إلى "رأس أفعى" في السجن نوعًا من الهروب من المسؤولية أكثر منه قراءة فنية للواقع.

مجلـة "الإيكونوميست" كانت قـد لخصت هذا المنطق مبكرًا حين أشارت إلى أن "الحكومة المصـرية تجد في الإخوان شـمّاعة جاهزة" لتعليق فشـلها؛ فكل حادث أو أزمـة – من حريق قطار إلى أزمـة خبز – يمكن، في خطاب الإعلام الرسـمي، نسـبته إلى "مخططات الجماعـة"، بدل الاعتراف بفساد عميق وسوء تخطيط، وهو بالضـبط ما يعيد "رأس الأفعى" تدويره في قالب درامي أكثر تشويقًا، لكن بنفس البنية التفسـيرية الكسولة.

الخبير السياسـي يزيد صايغ، في تحليله لمسار الإخوان وفشـلهم السياسـي، يعترف بمسؤولية الجماعة عن أخطاء جسـيمة أثناء فترة حكمها القصـيرة، لكنه يذكّر بأن عزل محمد مرسي حدث قبل أن تُمنح أي فرصة لمعالجة أزمات الاقتصاد الهيكلية، وأن السلطة الحالية، التي تحكم منذ أكثر من 10 سـنوات، تتحمل كامل المسؤولية عن موجات التضـخم، وبيع الأصول، وإفقار ملايين المصـريين، ما يجعل استمرار استخدام "الخطر الإخواني" لتبرير كل تعثر اقتصادي بعد عقد من الإقصاء والسجن مجرد دعاية سياسية، لا تحليلًا موضوعيًا.

بين ذاكرة رقمية لا تُمحى وواقع معيشي خانق.. الدراما تفشل في إقناع شارع يرى من يدفع الفاتورة

في زمن الأرشـيف الرقمي، يصـعب على أي عمل درامي أن يفرض روايـة أحادية دون أن تُقارَن بما عاشه الناس فعليًا؛ فالمصـريون شاهدوا بأعينهم موجات ارتفاع الأسـعار بعـد كل تعويم، وسـمعوا تصـريحات رسـمية عن "اسـتحالة تخفيض الـدين"، وعايشوا تقليص الدعم، وتعطيل خـدمات عامـة، وتفـاقم الفقر إلى أكثر من 30% وفق أرقـام رسـمية قبـل التوقف عن نشـر البيانـات التفصـيلية، وكل ذلك في غياب كامل للإخوان عن المجال العام، بعد تفكيك بنيتهم التنظيمية وملاحقة كوادرهم.

من هنـا تـأتي الأسـئلة المنطقيـة التي يطرحهـا النص: إذا كان محمود عزت – المعتقل منـذ 2020 – هو "المحرك الخفي للأزمـات"، لمـاذا لم يتحسن الاقتصـاد بعـد القبض عليه؟ ولمـاذا توالت التعويمـات، وتعمق العجز، وتراجعت قيمـة الجنيه إلى مسـتويات غير مسـبوقة؟ وإذا كانت الجماعة تملك تنظيمًا مسـلحًا واسع النفوذ كما تصور الدراما، أين تجلى هذا "النفوذ" عند اعتقال قيادات الصف الأول والثاني؟ ولماذا لم نشهد موجات مقاومة مسلحة طويلة الأمد كالتي يفترضها المسلسل؟

دراسات لمراكز مثل SWP الألماني وCarnegie عن فشل الإخوان تشـير إلى أن الجماعة، رغم عيوبها البنيوية، لم تكن تمتلك سـيطرة على مؤسـسات الدولـة العميقـة، وأن خطاب "الخلايا التي تتحكم في كل شـيء" أقرب إلى مبالغـة تخـدم استراتيجيات التخويف، لا قراءة واقعية لحجمها بعد 2013، خاصـة وأن التقارير الدولية عن حقوق الإنسان توثق أن آلافًا من كوادرها بين قتيل ومعتقل ومنفي، ما يجعل تصويرهم في 2026 كقوة قادرة على تحريك سوق الصرف والديون نوعًا من السردية المتخيلة أكثر منه استنادًا إلى معطيات فعلية.

الخـبير الإعلامـي علي عبـدالعليم حـذّر في سـياق نقـده لـ"الاختيـار" من أن تعـاطي الدولـة مع الخلاـف السياسـي عبر الـدراما، بـدل الحوار والمؤسـسات، يحوّل المسلسـلات إلى "محاكم تلفزيونيـة" تُصـدر أحكامًا غيابيـة على خصوم معزولين، وتؤثر في القضاء والرأي العام في آن واحـد، مشـيرًا إلى أن المتهمين الـذين يُشـيطنون في الأعمال إما قيـد المحاكمة أو لم تُثبت ضدهم كل الاتهامات التي تلوكها الدراما، ما يعني انتهاكًا لمعايير المحاكمة العادلة واستخدام الفن كأداة سلطة لا كمساحة نقاش حر.

رأس الأفعى ليس في السجن.. بل في منظومة حكم تُنتج الأزمات ثم تبحث عن شماعة

في النهايـة، يكشف "رأس الأفعى" عن معادلـة مقلوبـة: بدل طرح سؤال "من قرر الاقتراض بهذا الحجم؟ من بنى مشـروعات لا عائد حقيقي لها؟ من سمح بتمدد مؤسسات لا تخضع لرقابة في قلب الاقتصاد؟" يقدّم المسلسل إجابة جاهزة: "كل ذلك فعله رجل في الثمانين من عمره، في زنزانة انفرادية، اسـمه محمود عزت"، في قفز على حقائق السلطة والمسؤولية، وتجميل لنظام حكم يملك – وحده – القرار في الاقتصاد

والأمن والإعلام منذ عقد.

تقارير دولية من صندوق النقد والبنك الدولي ومراكز بحث غربية وعربية تتفق على أن أزمات مصر الاقتصادية اليوم هي نتاج خيارات سياسية واقتصادية اتخذتها السلطة الحالية: نموذج نمو يقوده الاستثمار في عقارات وبنية فوقية لصالح نخبة ضيقة، توسع في دور المؤسسة العسكرية اقتصادياً، تضييق على القطاع الخاص المستقل، قمع للحريات السياسية والنقابية، واستخدام ملف "مكافحة الإرهاب" لتبرير كل ذلك، في حين تُستخدم دراما رمضان لتثبيت صورة مختلفة في أذهان الجمهور.

المواطن في النهاية لا يحكم بناء على ما يراه في "Watch It" أو "DMC"، بل على ما يراه في الأسعار، وفرص العمل، وجودة الخدمات، ومساحة الكلام المتاحة بلا خوف؛ وحين يرى أن الأزمات تتكرر، وأن الخطاب الدعائي لا يتغير، وأن "رأس الأفعى" الذي يلدغ يوميًا قدرته على العيش بكرامة ليس تنظيمًا سياسيًا غائبًا عن المشهد، بل منظومة حكم تمسك بكل الخيوط وتصر على تعليق الفشل على شماعة واحدة، يدرك أين يوجد السم الحقيقي، وأين يوجد رأسه.

تقارير

شاهد | | هروب جماعي من مركز علاج إدمان بالهرم يفضح إمبراطورية المصحات غير المرخصة

الاثنين 29 ديسمبر 2025 01:00 م

تقارير

تشريد جماعي وتهديدات أمنية.. تسريح عشرات العمال من شركة «زد عبر البحار» بمصر الجديدة

الخميس 18 ديسمبر 2025 07:00 م

مقالات متعلقة

ق فارملا عطق دض تاغلابىلإ ق لعم ربوطة عورشم ن م ..ريجهة طخمو ي ريخ ف قو ن يب "ي ابطبط ف قو" ل ينم

منيل "وقف طبطباي" بين وقف خيري ومخطط تهجير.. من مشروع تطوير معلق إلى بلاغات ضد قطع المرافق

ط سولأا ق رشلاب ض رلأا ي ف "ل يئارسإ ق ح" ل وح ن لاداجتي باكاه ك يامو ن وسلراكا ركاة | | ت سوب ن طنشاو

واشنطن بوست | | تاكر كارلسون ومايك هاكابي يتجادلان حول "حق إسرائيل" في الأرض بالشرق الأوسط

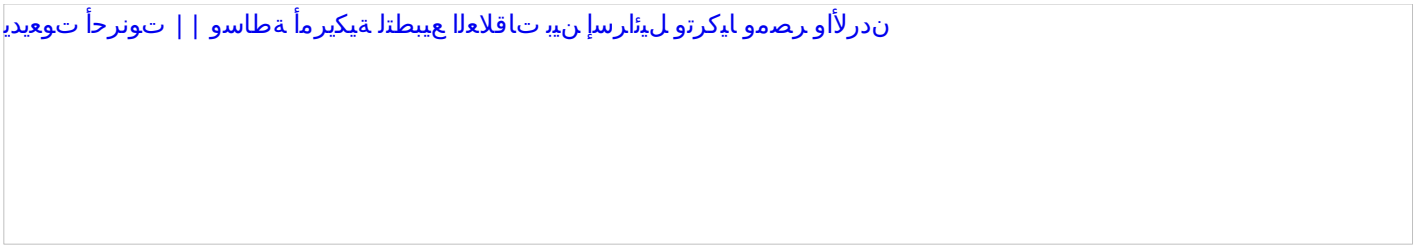

بديعوت أحرنوت | | وساطة أمريكية لتطبيع العلاقات بين إسرائيل وتركيا ومصر والأردن

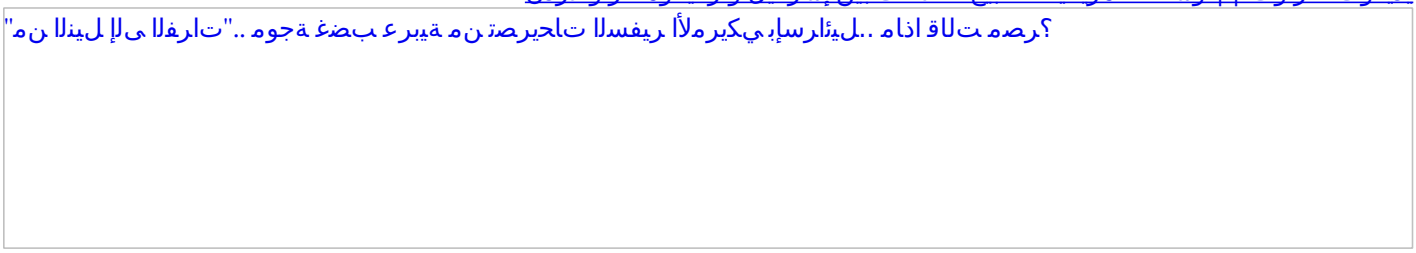

"من النيل إلى الفرات".. موجة غضب عربية من تصريحات السفير الأمريكي بإسرائيل.. ماذا قالت مصر؟

إشترك أدخل بريدك الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة لموقع نافذة مصر 2026 ©